

زوج السيدة زينب وزواجها

محمد جواد مغنية

كان لجعفر الطيار ثلاثة ذكور : عبد الله ، وبه يكنى ، ومحمد ، وعون ، ولدوا كلهم في ارض الحبشة ، وأمهم اسماء بنت عميس ، ومحمد بن ابي بكر اخوهم لأهمهم . وصحب عبد الله (زوج السيدة زينب) النبي ، وحفظ الحديث عنه ، ولازم عمه امير المؤمنين والحسين ، واخذ عنهم العلم .

وكان اغنى بني هاشم وايسرهم ، وكانت له ضياع كثيرة ، ومتاجر واسعة . وكان اسخى رجل في الاسلام ، وله حكايات في الجود كثيرة وعجيبة ، منها ان احد الخلفاء ارسل له ثلاثة ملايين درهماً ، ففرقها جميعاً على الفقراء ، وزاد عليها من ماله . وله مواقف مع معاوية عرفه فيها مكانه وحقيقته ، نقلنا بعضها في كتاب «الشيعه والحاكمون» . وعن الشعبي ان عبد الله دخل على معاوية ، وعنده يزيد ، فجعل يزيد يعرض بعبد الله في كلامه ، وينسبه الى الاسراف ، فقال عبد الله ليزيد : اني لأرفع نفسي عن جوابك ، ولو قالها صاحب السرير لاجبته ، فقال معاوية : كأنك تظن انك اشرف منه ؟

قال عبد الله : اي والله ، ومنك ومن ابيك ، وجدك . فقال معاوية : ما كنت احسب ان احداً في عصر حرب بن أمية اشرف منه . فقال عبد الله : بلى والله . ان اشرف منه من اكفاً عليه إناءه ، واجاره بردائه . قال : صدقت ، يا ابا جعفر^(١) .

(١) زينب الكبرى لجعفر نقدي ص ٨٩ طبع النجف .

زواج السيدة زينب :

قالوا : «أن الفرس العتيق هو الذي ينحدر من آباء لا هجنة فيها» . وكذلك الاسر الطيبة الطاهرة العريقة في التقى والقداسة تحشى الهجنة اذا زوجت ابناها وبناتها بمن دونها فضلاً وصلاً .

حين بلغت الزهراء مبلغ الزواج كثر طلابها ، فرفضهم النبي جميعاً ، لعدم الكفاءة ، وزوجها علياً ، لانها منه ، وهو منها ، وهما من النبي في الصميم . ونفس الشيء حصل لابنتها الحوراء ، طلبها كثيرون ، فردهم الامام ، وزوجها ابن اخيه عبد الله ، ومن اولى بها منه ، وهو ابن عمها للاب والام ، وسبق ابوه جعفر الطيار الى الاسلام ، وهاجر وجاهد وأستشهد في سبيله .

شرف المصاهرة :

واذا كان الاقتران بنسل الرسول شرفاً وكرامة ، فآله اولى الناس بهذا الحق ، لانه لهم ومنهم وفيهم ، وقد روي ان النبي (ﷺ) نظر الى اولاد علي وجعفر ، وقال : «بناتنا لبنينا ، وينونا لبناتنا» . واذا لم يكن النبي جداً لا اولاد جعفر فانه لهم بمنزلة الاب والجد ، وهو وليهم في الدنيا والآخرة ، ولا شيء احب الى الجدة من اقتران احفاده بعضهم ببعض ، لان في ذلك تأكيداً لنسله وامتداداً لنوع من وجوده .

حياتها الزوجية :

لم يتحدث المؤرخون واصحاب السير عن حياة السيدة زينب مع زوجها عبد الله ، وكل ما ذكروه انه رزق منها اربعة ذكور واثني ..

وعن اي شيء يتحدث المؤرخون في هذا الباب ؟ .. هل يتحدثون عن نزاعها وشقاقها مع زوجها ، أو مع الجيران ، او عن وضعها الاحاديث على لسان جدها في فضلها وفضل ابائها ، او عن تحزبها الاحزاب وركوب الجمال والبغال ، أو يتحدثون عن مظاهر الابهة وعدد الجواري والعبيد ، أو عن رحلات التزهة وشم النسيم ، أو مجالس الانس والطرب ؟ .

لقد اكتفت الحوراء بذكر الله عن ذكر الناس ، والقليل والقال ، وصرفها القيام بين يدي الله ، والانقطاع اليه عن كل شيء .. فكان بيتها بيت العبادة والتهجد وتلاوة القرآن :

منازل كانت للرشاد وللتقى وللصوم والتطهير والصلوات

قالت بنت الشاطيء :

«لم يفرق الزواج بين زينب وابيها واخوتها ، فقد بلغ من تعلق الامام علي بابنته وابن اخيه ان ابقاهما معه ، حتى اذا ولي أمر المسلمين ، وانتقل الى الكوفة انتقلا معه ، فعاشا في مقر الخلافة موضع رعاية امير المؤمنين واعزازه ، ووقف عبد الله بجانب عمه في نضاله الحربي ، فكان اميراً بين امراء جيشه في صفين» .

وكيف يصبر الامام عن جوهرته الكريمة ، وقد رأى فيها مثاله وطبائعه وجميع شوائله ؟ .. فلقد روى الرواة انها كانت تنطق بلسان ابائها اذا تكلمت . ونقل الشيخ النقدي عن النيسابوري «انها كانت في فصاحتها وبلاغتها ، وزهدا وعبادتها كابيها المرتضى وامها الزهراء» .

وليست الفصاحة والبلاغة والزهد والعبادة كل ما لعل من اوصاف .. كلا ثم كلا ، ان صفات ابائها علي لا تدرکها عقولنا نحن ، وما كان لاحد ان يدرکها أو يحيط بها الا الانبياء والاولياء ، ولست ادري : هل يتطور العقل البشري في المستقبل ، ويبلغ مرتبة تؤهله لفهم هذه الشخصية على حقيقتها ومن جميع جهاتها ؟ ..

أولادها :

ولد لعبد الله بن جعفر من السيدة زينب اربعة ذكور ، واثني ، وهم علي المعروف بالزينبي ، ومحمد ، وعباس وعون وام كلثوم ، وهي التي خطبها معاوية لولده يزيد ، فزوجها خالها الحسين (ع) من ابن عمها القاسم ابن محمد بن جعفر بن ابي طالب (اعيان الشيعة ج ٣٣ ص ١٩١ طبعة ١٩٥٠) .

ومحمد وعون قتلا مع خالهما الحسين بكر بلاء ، برز عون للقتال ، وهو يقول : ان تنكروني فاننا ابن جعفر شهيد صلق في الجنان ازهر يطير فيها بجناح اخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر هؤلاء آل ابي طالب كباراً وصغاراً ، اذا عملوا عملوا ليوم المحشر والخلود ، واذا افتخروا بالشهداء والصديقين ، واذا انتقموا انتقموا لله لا لأنفسهم ، ولذا كان لهم عند المسلمين حق المودة والولاء ، وعند الله سبحانه الكرامة والرضوان ..

وقتل عون من الاعداء ثلاثة فوارس ، وثمانية عشر رجلا ، ثم ضربه عبد الله بن قطنه

الطائي فقتله ، ولما خرج المختار قبض على ابن قطنة ، وقتله .
وبرز محمد ، وهو يقول :

اشكو الى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان

وقتل من الاعداء عشرة انفس ، وحمل عليه ابن نهشل التميمي فقتله .
ولما ورد نعي الحسين ونعي محمد وعون الى المدينة كان عبد الله بن جعفر جالساً في بيته ،
فدخل عليه الناس يعزونه ، وكان له غلام اسمه ابو السلاس ، فقال ماذا لقينا من
الحسين ؟ .. فحذفه عبد الله بنعله ، وقال له : يا ابن اللخناء .. أللحسين تقول هذا .. والله
لو شهدته لما فارقت ، حتى اقتل معه ، وقد هون علي مصابها انهم قتلوا مع أخي وابن عمي
مواسين له صابرين معه ، ثم قال : الحمد لله ، لقد عز علي مصرع الحسين ، واذا لم اكن قد
واسيته بيدي ، فقد واسيته بولدي ..

وقد تساءل البعض عن عدم خروج عبد الله بن جعفر مع الحسين ؟ .
واعتذر عنه جماعة باعذار لا تعدو الحسد والتخمين . وقال بعضهم : ان بصره كان
مكفوفاً يومئذ .

والذي نعتقه ان عبد الله بن جعفر كان مطيعاً للامامين الحسن والحسين بعد عمه ، وانه
لم يخالف لهما امراً ، لا في السر ولا في العلانية ، وقد رأيناه يترك امر زواج ابنته ام كلثوم لخالها
الحسين ، حين طلبها معاوية لولده يزيد ، كما ترك امر خروج زوجته زينب اليه واليها ، وهو
الذي امر ولديه عوناً ومحمداً بالخروج مع خالهما ولكن الحسين (ع) لم يلزمه بالخروج ولم يوجب
عليه ذلك ، بل ترك له الخيار ، وقد رأى ان بقاءه في المدينة اصلح ، لاعتبارات نجهلها نحن ،
ويعذر هو فيها ، ولو ان الحسين اوجب عليه الخروج لاسرع الى الاجابة ، وليس من شك انه
مأجور ومشكور عند الله والناس على رضاه واغتباطه باستشهاد ولديه بين يدي الامام .
وان سيرته ومواقفه بعد الحسين لأصدق دليل على ايمانه واخلاصه وصدقه في المتابعة
والولاء لعمه وابنائيه ، وعن كتاب المحاسن والمساوي للبيهقي ان عبد الله بن عباس وعمرو بن
العاص كانا في مجلس معاوية ، فعرض عمرو بعبد الله بن جعفر ، ونال منه ، فقال ابن
عباس :

« ليس كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ، ولنعمائه شكور ، وعن الخفي زجور ، جواد كريم ،
وسيد حلیم .. لا يدعى لدعي - يعرض بابن العاص - ولا يدنو لدني ، كمن اختصم فيه من
قریش شرارها فغلب عليه جزارها - كما حدث لابن العاص - فاصبح آلامها حسباً ، وادناها

منصبا .. وليت شعري باي قدم تتعرض للرجال ؟! .. وباي حسب تبارز عند النضال ؟! .. ابنفسك وانت الوغد الزنيم ؟! .. ام بمن تنتمي اليه ، فاهل السفه والطيش والدناءة في قريش ، لا بشرف في الجاهلية اشتهروا ، ولا بقديم في الاسلام ذكروا ..

وضع الاحاديث والاخبار :

اما ما جاء في بعض الكتب من ولع عبد الله بن جعفر بالقيان والغناء فهو اما افتراء لا اصل له ولا اساس ، وأما مبالغ فيه بقصد النيل من مقام أمير المؤمنين ، لانه ابن اخيه ، وزوج ابنته .. على طريقة السلف الطالح من امثال الامويين واذنابهم الذين يضعون لهم الاحاديث والاخبار في علي واولاده واحفاده بعد ان يقبضوا الثمن .

من ذلك ، وعلى سبيل المثال ، حديث «ان ولدي الحسن سيصلح الله به بين فتيين من المسلمين» .. ووضعه معاوية ليثبت به اسلامه ، واسلام من كان معه في صفين ، وينفي عنه وعنه البغي الذي دمغهم به حديث «عمار تقتله الفئة الباغية» .

ومنه الخبر المقتري على الامام الحسن (ع) انه كان اذا رأى جمعا من النسوة يقول لمن : من منكن تأخذ ابن بنت رسول الله ؟ .. فيجبنه بصوت واحد : كلنا مطلقات ابن بنت رسول الله .

واي عاقل يجيز مثل هذا على الامام الزكي الذي له عقل جده محمد ، وابيه علي ؟! .. أي عاقل يصدق ان الامام الحسن كان يقف على قارعة الطريق ، وينادي معلناً عن رغبته في الزواج والنكاح ؟! .. واغرب من كل ذلك جواب النسوة : كلنا مطلقات ابن بنت رسول الله .. متى تزوج بهذه الكثرة والعدد ؟! .. ومتى طلقهن ؟! .. وكيف خفين عليه ، وبالامس كن في بيته وفي جملة عياله ؟! ..

حقاً ان واضع هذه الاكثوية قد بلغ من الحمق والرعونة اقصى الحدود .. واجهل منه واغبي من يصدقه ، ويروي اخباره .

ومن ذلك اخبار السيدة سكينة مع اشعب الطماع وغيره من المغنين والمختئين .. الى كثير من الاكاذيب والافتراءات التي حاكتها الفئة الباغية بشهادة رسول الله ، والشجرة الملعونة في كتاب الله .